

٢

سلسلة رسائل

خاتمة بنت خويلد

الجزء الثاني

خير نساء الجنة

بمقدم : ا. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر

دار النشر

ما إن بلغ محمد ﷺ الأربعين ، حتى أَلِفَ الخلوة ، فكان يذهب إلى غار حراء يتعبد ويتأمل في عجائب الكون ، وكانت زوجته (خديجة) تهين له الأجواء المناسبة لذلك ، فكانت تحوطه بالرعاية والهدوء وهو في البيت ، فإذا انطلق إلى غار حراء ، دعت له بالخمر ، وظلت عيناها عليه من بعيد ، ولا تكتفى بذلك بل كانت ترسل خلف زوجها من يحرسه ويرعاه ، وكانت تخرج بنفسها إليه ومعها غذاؤه وما يحتاج إليه .

وفي يوم سعيد ، نزل الوحي على محمد ﷺ ، ولم يكن هذا الحدث سهلاً على نفسه ، فقد عاد إلى بيته خائفاً ، وظل قلبه يرتجف ، وأسرع (خديجة) نحوه ، تهدئ من روعه وتقول له :

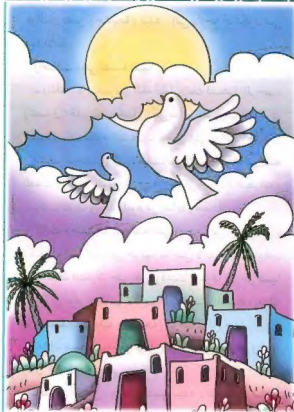
— ما بك يا محمد ؟ هل أصابك مكروه ؟

فقص عليها النبي ﷺ ما حدث ومخاطبة الملك له ثم قال :

— لقد خشيت على نفسي !

لكن (خديجة) قالت في يقين واطمئنان :

— الله يرعانا يا (أبا القاسم) ، أبشريا بن عم وأبنت



قَالَ الَّذِي نَفْسُ (خَدِيجَةُ) بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيٌّ
هَذِهِ الْأُمَّةُ .

وَأَضَافَتْ وَهِيَ تَضُمُّهُ إِلَيْهَا :

- وَاللَّهِ ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ،
وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ - أَيْ الضَّعِيفَ - وَتُقْرِئُ
الضَّعِيفَ - أَيْ تُكْرِمُ الضَّعِيفَ - وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ !
وَشِعْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْأَطْمِنَانِ وَالْإِرْتِيَاحِ لِكَلَامِ زَوْجَتِهِ
الْعَذْبِ الْوَدُودِ ، الَّذِي أزالَ مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ خَوْفٍ وَاضْطِرَابٍ ،
وَسَكَنَتْ نَفْسُهُ وَخَلَدَ لِلنَّوْمِ فِي هَنَاءٍ وَسَعَادَةٍ .

كَانَتْ (خَدِيجَةُ) خَائِفَةً عَلَى زَوْجِهَا فِي رَاقِعِ الْأَمْرِ ،
لَكِنِّهَا لَمْ تَشَأْ أَنْ تُظْهِرَ خَوْفَهَا لَهُ حَتَّى لَا يَنْضَاعِفَ خَوْفُهُ ،
وَلِذَلِكَ فَقَدْ انْتظَرَتْ حَتَّى نَامَ ، وَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً إِلَى ابْنِ عَمِّهَا
(وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ) الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ فِي الْكُتُبِ الْمَقْدُوسَةِ وَيَعْرِفُ
مَا بِهَا ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ (خَدِيجَةُ) مَا حَدَّثَ لَزَوْجِهَا .

وَمَا إِنْ سَمِعَ (وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ) ذَلِكَ حَتَّى انْتَفَضَ وَاقِفًا ،
وَقَالَ لَهُ (خَدِيجَةُ) فِي بِهِجَةٍ :

- قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ كُنْتُ صَادِقَةً



فِيمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ يَا (خَدِيجَةُ) ، فَإِنْ زَوْجَكَ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ
الْوَحْيُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .
فَقَالَتْ (خَدِيجَةُ) :

— أَجَلٌ ، إِنِّي صَادِقَةٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

فَقَالَ لَهَا (وَرَقَةُ) :

— اذْهَبِي إِلَى زَوْجِكَ وَبَشِّرِيهِ ، وَقُولِي لَهُ : فَلْيَثْبِتْ !

وَلَمْ تَتِمَّا لَكَ (خَدِيجَةُ) نَفْسَهَا مِنَ السَّعَادَةِ ، فَرَجَعَتْ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَهُ ابْنُ عَمِّهَا (وَرَقَةُ بْنُ
نَوْقَلٍ) .

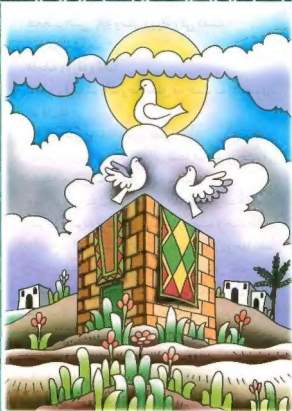
وَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ تَعْبِيرًا عَنْ شُكْرِهِ لِلَّهِ ،
فَلَقِيَهُ هُنَاكَ (وَرَقَةُ بْنُ نَوْقَلٍ) ، فَحَيَّاهُ وَسَلَّاهُ :

— يَا بَنَ أَخِي ، أَخْبَرْتَنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ .

فَأَخْبَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِخَيْرِ مَا رَأَى وَسَمِعَ ، فَقَالَ لَهُ
(وَرَقَةُ) :

— هَذَا النَّامُوسُ — أَيْ الْوَحْيُ — الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُوسَى

ﷺ ، يَا لَيْسَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذَا يُكَذِّبُكَ قَوْمُكَ وَيُؤْذُونَكَ
وَيُخْرِجُونَكَ .



فَتَعَجَّبَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَالَ (وَرَقَةً) فِي دَهْشَةٍ :

— أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ ؟

فَاجَابَهُ (وَرَقَةً) قَائِلًا :

— نَعَمْ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي .

ثُمَّ قَالَ لَهُ :

— إِنْ أَدْرَكْنِيْ يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا .

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ فِي

اِسْتِقْبَالِهِ تُصَفِّي إِلَيْهِ وَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِرَأْيِهَا .

وَبَدَأَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمْرُهُ اللَّهُ أَنْ

يَدْعُوْ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ ، فِدْعَا زَوْجَتَهُ (خَدِيجَةَ) ،

وَمَا أَسْرَعَ مَا اسْتَجَابَتْ لِلإِسْلَامِ وَوَقَفَتْ بِجِوَارِ زَوْجِهَا تُشَدُّ

مِنْ أَرْزِهِ وَتُعِينُهُ عَلَى تَبْلِيغِ دَعْوَةِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً .

كَانَتْ مَكَانَةً (خَدِيجَةَ) عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرَةً ، فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَدْ خَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَلَقِيَهَا (جَبْرِيلُ) فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، فَسَأَلَهَا عَنْ

النَّبِيِّ ﷺ ، فَهَابَتْهُ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ إِنَّمَا

يَسْأَلُ عَنْ زَوْجِهَا لَكِيْ يَغْتَالَهُ ، فَلَمَّا التَقَتْ بِالرَّسُولِ ﷺ

وَاخْبَرَتْهُ طِمَآنِهَا ، وَقَالَ لَهَا :



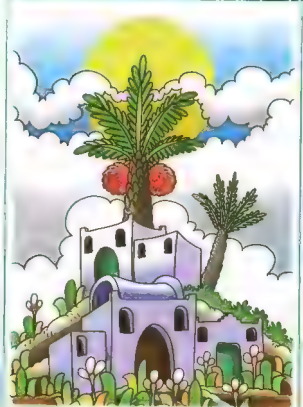
— هُوَ (جبريل) ، وقد أمرني أَنْ أقرأ عليك السلام ، وقال :
إِنَّ اللَّهَ يقرأُ على (خديجة) السلام .

ولم تتمالك (خديجة) نفسها من الفرحه وقالت :
— إِنَّ اللَّهَ هُوَ السلام ، وعلى (جبريل) السلام ، وعليك
السلام ورحمة الله !

ولم يكتفِ الرسول ﷺ بتبليغ السلام إلى زوجته من الله ،
بل بشرها ببیت في الجنة جزاء ما صنعت ، وقال ﷺ :
— أُمِرْتُ أَنْ أَبشُرَ (خديجة) ببيت في الجنة .

وبدأت المواجهة الصعبة بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ،
حيث كذبوه وأذوه وأسمعوه ما يفضبه ، ولم يجد الرسول ﷺ
ما ينسبه هذا الأذى ، إلا حين كان يجلس إلى (خديجة)
فتقف بجواره وتشد من أزره ، وتثبت على موقفه .

ولما عجز أهل مكة عن ردِّ محمد ﷺ عن دعوته اتفقوا
على مقاطعة هو و(بنی هاشم) وكل من آمن به ، فكتبوا
بذلك كتاباً تعاهدوا فيه على ألا يبايعوهم ، ولا يدعوا سبباً
من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً ،
ولا تأخذهم بهم رافعة .



والتزم كفار مكة بهذا الكتاب ثلاث سنوات ، حاصروا خلالها الرسول ﷺ ومن معه ، ومنعوا عنهم الطعام والشراب .

وصمدت السيدة (خديجة) مع زوجها في هذا الحصار ، ورفضت أن تبقى في بيتها ، بينما يعاني زوجها وأصحابه الجوع والحرمان ، ولم تتردد (خديجة رضي الله عنها) في الخروج مع النبي ﷺ ، وهكذا تخلت عن دارها الحبيبة ، وقامت تتبع النبي ﷺ ، برغم ما كانت تعانيه من مرض ، فقد كانت تعاني آلام الشيخوخة .

وفي هذا الحصار اشتد البلاء بالرسول ﷺ ، وكان الصحابة يحثون عن الطعام فلا يجدونه ، فقد رفض المشركون أن يبيعوه لهم مهما كان الثمن الذي يدفعونه فيه .

فقد كان الصحابة (رِصَوانَ الله عليهم) إذا أرادوا أن يشتروا طعاماً من السوق ، قام (أبو لهب) إلى التجار ، وقال لهم : - يامعشر التجار ، عائلوا على أصحاب (محمد) حتى لا يحصلوا على ما يريدون .

فبغالى التجار فلا يقدر الصحابة على شراء الطعام ، فلا يجدون أمامهم سوى الصبر ، وأكل ورق الشجر

وبقيت (خديجة رضي الله عنها) في الحصار ، صابرة مع زوجها النبي ﷺ ، ومحتملة لهذا الحصار الظالم الذي أنهك قواها ، ولم ترجع إلى بيتها إلا بعد أن تهاوى هذا الحصار أمام ذلك الإيمان الصادق ، وكانت طوال زمن الحصار نعم الزوجة الصابرة المحتسبة ، التي احتملت فوق طاقتها ، فقد كان عمرها قد قارب الخامسة والستين .



وبعد أن رجع محمد ﷺ من الشعب بعد أن انتهى الحصار
الظالم ، لم تمض إلا شهور قليلة حتى أصابته في عام واحد
فاجعتان ، كل واحدة أكبر من الأخرى ، فقد مات عمه
(أبو طالب) ومن بعده زوجته (خديجة) ، فتأثر رسول
الله ﷺ لموتيهما تأثراً شديداً .

فقد كان عمه (أبو طالب) السند الذي يحميه من أذى
قريش ، وكان المشركون يعملون له ألف حساب .
أما (خديجة رضي الله عنها) فقد كانت بالنسبة لـ محمد ﷺ
هي السند الحقيقي بما كانت تمنحه من حبها وبرها ، ومن رقة
نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها .

(خديجة) التي كانت تهون عليه كل شدة ، وتزيل من نفسه
كل خشية ، والتي كانت ملاك رحمة ، يرى في عينيها وعلى ثغرها
من معاني الإيمان بالله وبرسوله ما يزيد إيماناً بنفسه .

وبلغت متاعب الرسول ﷺ أقصى مداها في عام الحزن
الذي مات فيه (خديجة) ومن قبلها مات عمه (أبو طالب) ،
وظن المشركون أن الفرصة قد لاحت لهم بموت (أبي طالب)
(خديجة) ، فآخذوا يؤذون النبي ﷺ ، فقد اجتراً عليه
الكفار ، فاسمعوه من الكلام ما لا يرضى ، وكان السفهاء

منهم عندما يجدونه في الطريق يرمون التراب على رأسه ،
وكانت ابنته (فاطمة) كلما رأت ذلك مسحت عنه التراب
وهي تبكي ، فيقول لها :

— لا تبكي يا بنية ! فإن الله مانع أباك .

ثم كان يردد قوله :

— والله ما نالت مني قریش شيئاً أكرهه حتى مات

(أبو طالب) !



